المحكم والمتشابه في القرآن

للشيخ يوسف بن عبد العزيز الشبل


بسم الله الرحمن الرحيم

المُحْكَم

بسم اللّه الرحمن الرحيم

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين أما بعد:

أيها الإخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمة وبركاته حياكم الله فى هذا اللقاء المبارك وفى هذا اليوم هو اليوم الثامن عشر من شهر رجب من عام 1443 نجتمع فى هذا المقام المبارك وبين أيدينا فى الحقيقة موضوع من أهم موضوعات علوم القرآن والدخول فيه والتشعب فيه أيضاً يحتاج **منا إلى أشد الحذر** وهو موضوع قد التبس على كثير ووقع فيه من وقع، ولذلك سنتناوله بدقة وحذر ونركز على هذا الموضوع من جوانب عقدية مهمة، هذا الموضوع الذى بين يدينا هو موضوع

المحكم والمتشابه

۞ أولا: قبل الدخول فى مسألة المحكم والمتشابه لابد أن نعرف أن القرآن الكريم ذكر الله سبحانه وتعالى فيه فى وصفه بأنه محكم قال سبحانه وتعالى: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ **[يونس: 1]**، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ **[هود: 1]**، فهو محكم، ووصف الله سبحانه وتعالى القرآن فى مواضع أخرى

بأنه متشابه قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر: 23]، فوصف كتابه بأنه متشابه، ثم نجد فى آية أخرى فى آل عمران ذكر الله سبحانه وتعالى أن القرآن بعضه محكم و بعضه متشابه قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ [آل عمران: 7]، فكيف نجمع بين أن يقال مثلاً القرآن كله محكم أو كله متشابه أو بعضه محكم وبعضه متشابه؟ هذا سيأتينا تفصيله التفصيل الدقيق لكن أنا أحببت أن أعطيكم صورة موجزة عن أن هذا القرآن قد وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه محكم كله وبأنه متشابه كله وبأن بعضه محكم وبعضه متشابه كيف نجمع بين هذه الأمور؟

أولا: من أراد الدخول فى هذا الموضوع فليرجع إلى المصنفات التى صنفت فيه والمؤلفات التى أُلفت فيه فقد كتب فيه قديماً وحديثاً، أما من حيث الكتابة القديمة فإن مسائله منثورة فى مؤلفات العلماء سواء فى الجانب العقدى أو فى جانب علوم القرآن أو فى جانب التفسير تجدها مسائل منثورة ولم تكتب فى كتاب مستقل لأنها هى كغيرها من المسائل التى لم يكتب ولم يؤلف فيها مؤلفات خاصة، هناك كتاب: **(للكِرمانى ألف كتابا سماه البرهان فيما تشابه القرآن)**

والكرمانى نعرف أنه توفى فى القرن السادس أو بداية القرن السابع تقريباً فى نهاية القرن السادس، الشاهد من أن الكرمانى له كتاب اسمه: **(البرهان فى متشابه القرآن)** وقد يقصد بذلك المتشابه اللفظى، هناك التشابه

- **قد يكون تشابهاً لفظياً**
- **وقد يكون تشابهاً معنوياً**

الأهم فى دراسته هو: **التشابه المعنوى**، أما التشابه اللفظى فأمره يسير يعنى: هذه اللفظة مشابهة هذه اللفظة، وهذه اللفظة مذكورة وهى تشابه اللفظة الأخرى هذا أمره يسير ليس فيه صعوبة، الكلام فى التشابه المعنوى كيف هذه الآية تدل على كذا وكيف هذه الآية تدل على كذا، ممن كتب فى المحكم والمتشابه شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب سماه: **(الإكليل فى المتشابه والتأويل)**، تكلم عن هذه المسائل، وأيضاً شيخ الاسلام ابن تيمية تكلم عن هذه المسألة فى كتبه فى كتاب رسالته فى التدمرية وغيرها، كذلك أيضاً هناك كتاب اسمه: **(المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم)** للدكتور عبد الرحمن المطرودى وهذا رسالة صغيرة أو بحث تكلم عن المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم بإيجاز، هناك مثلاً بعض كتب الأصول أيضاً مثل: **(الموافقات للإمام الشاطبى)**

ومثل كتب علوم القرآن مثل: **(البرهان للزركشى)**، **(والإتقان السيوطى)**، وأيضاً من المتأخرين من أهل العرفان وغيرهم من كتب فى علوم القرآن هؤلاء تكلموا عن المحكم والمتشابه، هذا الموضوع فى الحقيقة أيها الإخوة موضوع من موضوعات علوم القرآن وهو فى غاية الأهمية حيث إنه يحتاج إلى علم راسخ القدم عند الكلام فيه والدخول فيه لأن فيه تشعبات تحتاج إلى رسوخ علم، ولذلك نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى لما تكلم عن المحكم والمتشابه فى سورة آل عمران لم يذكر العلماء **هكذا وإنما وصفهم بقوله:** ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ إذا كان الراسخون فى العلم هذا موقفهم يقولون آمنا وسلمنا الأمر لله: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ أى: هذا وهذا إذا كان هؤلاء يقولون هذا الكلام فغيرهم من منهم دون الراسخين من العلم سيكونون أيضاً أشد تمسكاً بمثل هذا الأمر فهو دقيق ويحتاج عناية تامة وثبات فى الأمور وتلاحظ أن هذه الآية أين وردت؟ فى سورة آل عمران كما قال بعض المفسرين قال هى **تتحدث عن الثبات عند الفتن**، ولذلك تلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ذكر فى سورة آل عمران أشد أنواع الفتن وهى: **الفتنة فى الشبهات والشهوات**، دائماً الفتن فى الغالب الفتنة فى الشبهات: فى الدين والعقيدة ونحو ذلك، وفتنة الشهوات فى الدنيا فى المال والنساء ونحو ذلك،

ولذلك تلاحظ فى آل عمران ذكر الله فتنة الشبهات وركز عليها وفصل فيها وحذر ثم ساق على ذلك فتنة الشهوات فى قوله: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران: 14]، هذا الموضوع له صلة حقيقة يعنى: لما نقول المتشابه المعنوى هو أشد من التشابه اللفظى، **التشابه المعنوى يمس العقيدة له صلة قوية بالعقيدة والزلل فيه يوقع صاحبه فى الهاوية فعليه أن يحذر**، ولذلك تلاحظ حتى لو تقرأ فى سورة آل عمران تجد أن الله سبحانه وتعالى يذكر لنا دعاء الراسخين فى العلم ماذا دعوا؟ قال: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران: 8] إذن فى زيغ للقلوب، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: 7]، فهذا الموضوع حقيقة مثل ما ذكرنا له أهمية عظيمة يحتاج منا رسوخ قدم فى هذا الموضوع وليس كل من يتكلم يتكلم فيه فعلينا أن نحذر كل الحذر، ولذلك وقع فيه من وقع حتى من المعاصرين وحتى من العلماء الذين ألفوا المؤلفات وكتبوا وفتح الله عليهم بالعلم والتأليف إلا أنهم وقعوا فى هذا الجانب، فى جانب العقيدة **لأنهم حملوا بعض الصفات أو حملوا كثيراً من الصفات على أنها من المتشابه وقالوا هذه نفوض أمرها إلى الله**، فإذا جاء عند الصفات الفعلية مثلاً صفات **الاستواء أو صفات المجىء أو الإتيان ونحوه أو النزول** قالوا نفوض الأمر إلى الله، الله أعلم بذلك

وقالوا هذه من المتشابه وليست من المتشابه

۞ الأسماء والصفات ليست من المتشابه بل هى من المحكم

✍ المتشابه هو: **الكيفية** لما تُسأل أنت لما يقال لك ما معنى استواء عرش؟ نقول: **الاستواء معلوم وهو من المحكم والكيف مجهود وهو المتشابه، لأنك أنت أخبرك الله عن الاستواء وخاطبك بلغة العرب فى الاستواء ولم يخبرك عن كيفية الاستواء** كيف استواء؟ هذا أمره إلى الله ليس لك، ولذلك الإمام مالك رحمه الله تعالى لما دخل الرجل وسأل الامام مالك قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: 5]، كيف استوى؟ فقال الإمام مالك ردَّ عليه رداً قوياً فقال: **(الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً فأمر بإخراجه)**، فهذا هو المنهج، الأسماء والصفات لله سبحانه وتعالى وأفعاله كلها معلومة كلها عندنا معلومة يخاطبنا الله ويخبرنا بلغة العرب **أما الكيف فأخفاه الله عننا**، كيف استوى كيف ينزل؟ هذه الأمور كلها أخفاه الله سبحانه وتعالى عنا فلذلك ينبغى الحذر كل الحذر من الدخول فى مثل هذا الموضوع أو التشعب فيه، إذن هذا الموضوع مثل ما ذكرنا لكم موضوع يعنى: له أهمية عظيمة حقيقة وتلاحظ أن الله لما أخبر بهذا الموضوع وهو المحكم المتشابه فى سورة آل عمران

بين منهج هؤلاء الذين يتبعون المتشابه ما منهجهم وما طريقتهم وما هدفهم قال: ﴿ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ ﴾، **فهم يريدون تحريف القرآن وتأويل المتشابه**، والحق فى ذلك أن الراسخين إذا جاءتهم هذه الآيات التى ظاهرها التشابه **فإنهم يحملون المتشابه يحملونه على المحكم ويلحقون المتشابه بالمحكم فيزول التشابه**، لأن التشابه نسبى والتشابه قد يعود إلى فهم الشخص قد يكون الشخص هذا يفهم الآية فهماً خاطئاً، فإذا ذهب إلى العلماء الراسخين وجهوهُ التوجيه الصحيح فزال عنه التشابه ولذلك لما جاء الرجل إلى ابن عباس وقال إنى أجد شيئاً فى القرآن فقال ما هو أشك؟ قال: لا ولكنى أجد شيئاً فى القرآن، فقال هاته يعنى: أعطنى فأعطاه الآيات التى فى ظاهرها التشابه فأجابه ابن عباس فأزال عنه، إذن التشابه **سببه الشخص نفسه** ،الشخص نفسه قد يكون عنده شىء من ذلك،

عموما لا نُطيل فى هذه المقدمة فى بيان أهمية هذا الموضوع حقيقة وهو من الموضوعات التى تتعلق بالعقيدة وقد تزل بها القدم لا نطيل فيه لكن ندخل مثل ما ذكرنا المحكم والمتشابه ونبدأ بالمحكم، والمحكم **أمره يسير وسهل وكله ظاهر** فلا بد أن نمر عليه مرورا سريعاً

❁ المحكم

✍ كلمة المحكم ذكرت فى القرآن: ﴿ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ ﴾ [آل عمران: 7]، كلمة المحكم موجودة فى القرآن ما معنى المحكم؟ نقول: نعيدها إلى أصولها وإلى جذورها المحكم مأخوذ من الفعل **أحكم** يقال: فلان أحكم الشيء وتقول: أنت أحكمتُ هذا الشيء، والمحكم أصله مأخوذ من: **المنع** أصل الإحكام هو: المنع، وسمى الحاكم حاكماً لأنه يمنع الظلم ويرفعه، والقاضى يسمى حاكماً لأنه يمنع الظلم من الظالم ويقضى، ولذلك تُسمى ما يوضع على ما يوضع على الفرس من اللجام تسمى: **الحَكَمَة** لأنها تمنع سير الفرس توضع على فم الدابة، ويقال: حكمت السفيه إذا منعته حكمت السفيه من التصرف إذا منعته، هذا الأصل إذن تعود هذه الكلمة إلى أصلها وهى: الحُكْم أو الحَكَمْ أو حَـكَمَ بمعنى: **منع**، ومنه: الحكمة: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: 269]، الحكمة هى: **حُسن التصرف، ثبات العقل إصابة الرأى** هذا معناه: **الحكمة**، والحكمة سُميت حكمة لأنها: **تمنع صاحبها من التصرفات السيئة** والحكمة سميت حكمة **لأنها تعطى أو تدل على أن هذا الشخص قد أتقن كلامه وأحكم كلامه وضبط كلامه**،

ولذلك الإحكام هو: **إتقان الشيء**، وإحكام القرآن لما نقول القرآن محكم نقول:

۞ هو: إتقانه ببيان الصدق من الكذب فى الأخبار والرشد من الغى فى الأوامر،

فالقرآن محكم **ولما نصف القرآن بأنه محكم كله هذا معناه**، لما نقول القرآن كله محكم أى: أنه متقن فى آياته وفى ضبطها وفى موضوعاته وفى كلماته وفى دلالاتها كلها **محكمة** أى: متقنة بحيث يميز فيها بين المطلوب والذى لا ينبغى أن يكون موجوداً، أو نقول بعبارة أخرى: **يميز بين الصدق والكذب والرشد والغى** أو نحو ذلك، طيب هذا الإحكام فى اللغة عرفناه، فالإحكام فى القرآن نقول: الإحكام فى القرآن، (**يَرد بالمعنى العام ويرد بالمعنى الخاص**)، ما معنى العام وما معنى الخاص؟ وكيف يَرد بالعام وكيف يرد بالخاص؟ نقول أولاً إذا قلنا أن القرآن محكم من حيث الإحكام العام فمعناه أن القرآن: **متقن فى ألفاظه ودلالاته ومعانيه متقن إتقانا واضحا جدا من حيث أنه فى آياته لا لبس فيها فى دلالاته فى معانيه كلها ليس فيها لبس،**

هذا معنى متقن أى: منظم ورصين لا يتطرق له الخطأ لا يتطرق له الكذب ولا يتطرق له الغى والضلال كله على أحسن كلام لأنه كلام من؟: كلام رب العالمين

الله وصف القرآن بأنه محكم قال سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: 1]، وقال: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [يونس: 1]، فدل على أن كتابه حكيم أى: حكيم بمعنى: **متقن**، هذا من حيث مثل ما ذكرنا (**الإحكام العام ودلالته**)، هناك إحكام خاص هذا سيأتى لك الآن لكن قبل الدخول فى الإحكام الخاص لابد أن نعرف ما يقابل الإحكام العام ما هو الذى يقابل الإحكام العام؟ نقول: (**التشابه العام**) هل يوصف القرآن بأنه متشابه تشابهاً عاماً؟ نقول: نعم لأن التشابه أصله: **التماثل** تقول هذا يشبه هذا يعنى: يماثله، ولذلك الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ [البقرة: 25]، أى: يشبه بعضه بعضاً فى اللون فى الطعام فى نحو ذلك وهذا معناه، والتشابه العام بحيث أن **الآيات القرآنية يصدق بعضها بعضا ويشبه بعضها بعضا فى دلالاتها فى ألفاظها** تجد هذه الآيات تتكرر والقصة تتكرر، قصة موسى كم تكررت من مرة؟ قصة نوح ونحو ذلك هذه فيها تشابه يعنى: تشابه لفظى، تشابه معنوى من حيث الدلالة والصدق وعدم التطرق للكذب وهو يشبه بعضه بعضاً فى الكمال فى الجودة فى الصدق فى نحو ذلك، السعدى فى تفسيره له كلام جميلٌ جداً حول قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾،

قال: متشابهاً فى الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه حتى إنه كلما تدبره المتدبر وتفكر فيه المتفكر رأى من اتفاقه حتى فى معانيه الغامضة ما يُبهر الناظرين ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا التشابه لو سألك سائلٌ وقال لك أنت الآن ذكرت لنا أن القرآن كله محكم وذكرت أن القرآن كله متشابه فكيف نجمع بين هذا وهذا؟ نقول: **لا إشكال أن يكون القرآن كله محكم لأن هذا وصف يتميز به، ومتشابه لأنه وصف يتميز به،**

والقرآن يوصف بأوصاف كثيرة إذا كانت هذه الأوصاف أوصاف مدح للقرآن وأوصاف يتميز به القرآن فهذا أمر مطلوب وأمر وجائز ولا تعارض بينهما فالقرآن كله محكم وكله متشابه، إذا فهمت هذا الأمر الآن عندنا ما يسمى **بالمحكم الخاص والمتشابه الخاص** وهذا يتمثل أو يتضح لك من خلال آية آل عمران: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ﴾، إذن القرآن من حيث الإحكام هذا الذى ذكرناه الأخير، بعض القرآن محكم وبعضه متشابه، هذا يسميه أهل العلم الإحكام الخاص والتشابه الخاص

- **الأول: العام كله محكم وكله متشابه**
- **الخاص بعضه محكم وبعضه متشابه**

طيب هذه الآية التى بين أيدينا آية آل عمران أوضحت لنا أن القرآن منه آيات محكمات أى:

متقنات فى الدلالة بينات واضحات الدلالة لا لبس فيها ولا إشكال، ولذلك قال: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، أى: أصول الكتاب أصول الشريعة ما يتعلق بالعقيدة ما يتعلق بأصول الشريعة بأصول الشرائع من الصيام والصلاة والزكاة ونحو ذلك هذه آيات بيّنة واضحة متقنة بيّنة لا لبس فيها فإذا قرأتها يتضح لك معانيها، آيات العقيدة وآيات أصول الشريعة هذه لا لبس فيها إن وُجد لبسٌ أو إشكال أو تشابه فهو فى فروع الشريعة لذلك قال: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، يعنى: الآيات التى هى أصول الشريعة هذه واضحة قال: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾، هذه الآيات متشابهات موجودة فى القرآن **وهى قليلة، الكثير محكم** قد يسألك سائل ويقول لك إذا كانت قليلة والكثير محكم فلماذا يورد الله لنا هذه المتشابهات؟ نقول: أوردها الله سبحانه وتعالى **ليميز بين الراسخين فى العلم وبين من يتبع الشهوات ممن فى قلوبهم مرض**، وليمتحن الناس فى ذلك حتى يتميز الثابت على الحق من غيره وكذلك أيضاً ليجعل هذا الأمر بين العلماء يعنى: يطرحون مسائله ويتناقشون فيه

ويظهر فيه ما يسمى بالحِراك العلمى والحركة العلمية والمباحثات العلمية، أما إذا كان كله محكماً لم يحصل هذا الأمر لن يُمَيز بين هذا وهذا لا فى ألفاظ القرآن ولا فى موقف الناس منه، ولا أيضاً العلماء إذا كان كل شىء واضح جداً فلهذا لابد أن يكون مثل هذا، ولذلك أوضح الله سبحانه وتعالى وحذر فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾، فلذلك يحذر الإنسان أن يقع فى مثل هذا الأمر ولذلك النبى **صلى الله عليه وسلم** لما قرأ هذه الآية قال:(**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**)[1]، احذر هؤلاء الذين سمى الله ولذلك قارن الله سبحانه وتعالى ووازن بين هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض وبين الراسخين فى العلم، طيب إذا عرفت هذا عرفنا المحكم العام عرفنا المحكم الخاص، فما تعريف المحكم الخاص؟ نقول: هو الذى ذكر العلماء فيه عدة تعريفات بعضهم وهى: أوضح عبارة أنهم قالوا المحكم **هو: الذى دلالته واضحة جداً** لا تخفى، هذا محكم يعنى: ما كانت دلالته واضحة يعرفه كل متعلم يقرأ القرآن يعرف دلالات القرآن، وأما المتشابه هو: **الذى قد أخفى على**

[1] أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها رواه مسلم (2665)

الكثير، بل قد يخفى على العلماء مما أخفاه الله مما يتعلق بكيفية الصفات مثلاً أو كيفية ما يجرى من علوم الغيب مما يجرى يوم القيامة فى الميزان والصراط والحوض والجنة والنار ونعيم الجنة وعذاب النار، كل ذلك أشياء استأثر الله بعلمه ولم يظهرها هذه حقائقها لا يعلمها إلا الله فهى من المتشابه،

المحكم قالوا: **إذا كانت هذه الآية لا تحتمل إلا وجهاً واحداً فى معناها نقول هذا: محكم، أما إذا كانت الآية تحتمل عدة أوجه قد تطلق على كذا وتطلق على كذا** يعنى: لها عدة معانى قالوا: **إن هذا من المتشابه،**

المحكم قالوا: **أن يكون اللفظ قد استقل بنفسه واتضح بيانه دون أن يحتاج إلى غيره، أما إذا كان يحتاج إلى غيره فهو متشابه**، إذن من خلال هذه الأقوال التى لا تتعارض أصلاً وكلها صحيحة من خلال هذه الأقوال التى عبر بها العلماء فى بيان المحكم والمتشابه يتضح لنا ماذا؟ يتضح لنا أن المحكم على درجات قد يكون عند شخص محكماً وعند غيره متشابهاً، وكذلك أن المتشابه درجات قد يكون عند هذا الشخص المبتدئ متشابه قد يكون عند من هو أعلى منه غير متشابه قد يكون عند من هو أعلى متشابه ومن هو أعلى وهكذا، فالتشابه

والإحكام نستطيع

أن نقول: كلاهما أمر نسبى لا نستطيع الحكم على مثل هذا أو هذا

، عندنا عدة مسائل مهمة حقيقة من المسائل المهمة حقيقة مثلاً إذا أوهم أوهمت بعض الآيات التعارض أى: ظاهرها يُوهم التعارض فى المحكم والمتشابه مثلاً: نقول هذه الآية تدل على كذا وتدل على كذا أو هذه تعارض هذه وهذه كيف يقول الله كذا وكيف يقول الله كذا؟ هذا مثل ما ذكرت لكم سابقاً هذا الذى جعل الرجل أو أوقع الرجل فى مثل هذه الأمور فجاء يسأل ابن عباس ما معنى هذه كيف يقول كذا وكيف يقول كذا هذه يسميها العلماء **(ما يوهم التعارض)** وقد ألفت فيها مؤلفات فيما يكون ظاهره التعارض فى الآيات والعلماء والمفسرون تحدثوا عنها وبينوا هذا التعارض وأجابوا عليه وأزالوا هذا التعارض حتى ألفت فيه مؤلفات وتكلم عنه العلماء يعنى أغلب المفسرين كابن جرير الطبرى ومثل القرطبى ومثل الشوكانى ومثل السعدى وغيرهم يوردون مثل هذه الأشياء التى ظاهرها التعارض أو فيها إشكال أو ما توهم التعارض ثم يجيبون ويزيلون هذا التعارض، مثل ما ذكرنا لكم أن رجلا جاء إلى ابن عباس قال إنى أجد أشياء

تختلف على فقال ابن عباس أشك؟ قال: لا، قال: هات ما عندك، فقال: إنى أسمع الله يقول: ﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 23] ثم نجدهم فى آيات أخرى: ﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: 42] فكيف نجمع بين هذا وهذا؟ يعنى: هذه الآية ﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾، هذا إقرار منهم واعتراف بأنهم لم يشركوا واعترفوا أمام الله أنهم لم يقعوا فى الشرك ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ قسم، ثم نجدهم فى آية أخرى: ﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾ كيف يعترفون ثم يكتمون؟ ابن عباس أجابه عن هذه إشكالات قال هنا أولاً: **يتكلمون ويقسمون أنهم ما أشركوا بالله:** ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾، **ثم يختم على ألسنتهم وأفواههم فتتحدث جوارحهم** فمعنى: ﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾، وقيل: هناك توجيه آخر وهو: **أنهم يعترفون فى مواضع وفى مواضع أخرى** يعنى: **يكتمون فى مواضع وفى مواضع لا يكتمون** عرصات يوم القيامة ومواضع يوم القيامة مختلفة فتجدهم فى مواضع يكتمون ومواضع لا يكتمون عموماً مثل ما ذكرنا **(ما يوهم التعارض)** هذا كثير جداً فى القرآن بل إن الإمام محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله صاحب كتاب: **(أضواء البيان)** ألف كتاباً سماه: **(دفع ايهام الاضطراب عن آيات**

الكتاب) وجمع ما يقرب من مئتين وأربعين موضعاً كلها ظاهرها التعارض فأجاب عنها بإجابات شافية،

ومثل ما ذكرت لكم قد تكون الآية تتعارض مع هذه الآية فيحكم عليها بعض العلماء بمثل أن يقول هذه ناسخة وهذه منسوخة هذا كثير، أو يقول مثلاً هذه تُوجه إلى معنى كذا وهذه توجه إلى معنى كذا، وهذه تكون فى موضع وهذه تكون فى موضع وهكذا عموماً هذا ما يتعلق وسيأتينا مزيد بيان فى أمثلة المحكم والله أعلم وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه جميعين[2]



[2] من أراد المحاضرة مرئيةً: (https://youtu.be/7ARUqh0SbEQ?si=ttijAp9WUqjhicS3)

الْمُتَشَابِـــه

المجلس الثاني: (المتشابه)

بسم الله والحمد لله صلى الله وسلم على ابن محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا فيما علمتنا وزدنا علماً وعملاً

يا رب العالمين أيها الإخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمة وبركاته حياكم الله فى هذا اللقاء المبارك فى هذا اليوم يوم الخميس الموافق للرابع عشر من شهر شعبان من عام ثلاثة وأربعين وأربعمئة وألف من الهجرة ما زلنا فى الحديث عن المحكم والمتشابه وأن القرآن جاء فيه وصفه بأنه محكم كله وجاء وصفهُ بأنه متشابه كله، وجاءت آية بينت لنا أن القرآن فيه ما هو محكمٌ وفيه ما هو متشابهٌ، ووفقنا بين ذلك بأن هذا من حيث العموم والخصوص، فهو من حيث العموم والخصوص فهو من حيث العموم كله محكم أى: متقن واضح الدلالة بين لا إشكال ولا شبهة فيه فى آيات كثيرة بلا شك القرآن كله متقن ومحكم ولا نشك فى ذلك، ومتشابه من حيث التماثل **فآياته يشبه بعضها بعضا فى القوة والرصانة والدلالات** وأيضا بلاغته ولغته وفصاحته كل ذلك متشابه من حيث العموم ثم إن آية آل عمران التى ذكرت أن القرآن بعضه محكم وبعضه متشابه هذا من حيث

الخصوص أى أن فيه آيات واضحة الدلالة بينة، وفيه آيات تحتاج إلى بيان والمتشابه قد يغمض على كثير من الناس يحتاج إلى من يرده إلى المحكم

وأما الذين فى قلوبهم زيغ الذين يتبعون المتشابه ولا يردون إلى المحكم فإنهم يقعون فى هذه الفتنة ويفتنون الناس أيضاً، ذُكر بعد ذلك أن المحكم إذا عرفنا أنه هو الأغلب وهو **الأكثر فى القرآن الكريم** ذكروا أن المحكم له أنواع نحن نحن عرفنا أن المحكم هو واضح الدلالة يعنى: الآيات التى دلالتها واضحة هذه تسمى: **محكمة**، ولا شك أن المحكم يختلف باختلاف الناس ومفاهيم الناس فقد يكون عند أناسٍ محكماً بَيِّنَ الدلالة لا غُموض فيه، وقد يكون أقل من ذلك من حيث البيان وقد يكون متشابهاً فهو على درجات والإحكام **نسبى**، والإحكام فى القرآن الكريم **يكون نسبياً حسب المخاطب** فتجد عند من عنده علم ومعرفة وإدراك وفهم فى لغة العرب وفى لسان العرب وفى القرآن الكريم وفى أحكام الشريعة تجد أن عنده الكثير والكثير من المحكم، وتجد من هو بعيد عن هذا قد يكون عنده شىء من المتشابه، ولذلك ابن عباس قال: (**التفسير على أربعة أنحاء: تفسير لا يعذر أحد بمعرفته، وتفسير لا يعلمه إلا العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، وتفسير يعلمه العامة**)،

فهو على درجات إذن المحكم واضح، الإشكال كله يدور حول المتشابه ذكروا أن له أنواعاً كثيرة ومثل ما ذكرنا المتشابه أيضاً متشابهٌ نسبى قد يكون عند شخص متشابه وعند غيره ليس من المتشابه، بل هو من الواضح فقد يأتيك سائل ويقولك هذه الآية فيها غموض لم أفهمها لأنها عنده متشابه لكن عندك أنت تجيبه بصراحة ووضوح لأنك أنت تعرف أن هذه الآية معناها كذا وكذا فلا تكون من المتشابه لما تحدث العلماء تحدثوا عن المتشابه فى القرآن الكريم ذكروا أن المتشابه فى القرآن الكريم ذكروا أن المتشابه له أنواع متعددة فقالوا قد يكون التشابه هذا يعود إلى: **لفظ الكلمة** إلى الألفاظ يكون اللفظ غريباً يكون اللفظ غامضاً فالألفاظ الغريبة فى القرآن الكريم والألفاظ الغامضة **هذه حملوها على المتشابه** مثل: ما جاء فى كلمة: **(الأب)** ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: 31]، هذه قد تكون غامضة فى حقيقة المعنى كما جرى لعمر رضى الله عنه لما قال: قد عرفنا الفاكهة فما الأب؟ ثم قال: إن هذا لهو التكلف يعنى: حقيقة هذا النوع ما هو؟ وإلا الأب عمر وغير عمر يعرفه أنه: **طعام البهائم**، لكن يريد الوصول إلى حقيقة هذا الأمر وهكذا، وفى مرة عمر رضى الله عنه كان على المنبر فقال: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ ﴾ [النحل: 47]، قال ما التخوف ؟ فسكت الكثير فقام رجلٌ من هُذَيل

قال يا عمر هذه لغتنا التخوف: **التنقص** ثم ساق بيتاً لأبى كبير الهُذَلى يقول فيه:

تَـخَوفَ الرَّحْلُ مِنْهَـا تَامِكًـا قَرِداً كَمَا تَـخَوفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَفِنُ

يعنى: **تنقص** معنى التخوف هو: **التنقص** فهذه كلمةٌ الصحابة ما عرفوها فهى من **المتشابه اللفظى**، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ **[التوبة: 114]**، ابن عباس قال ما الأواه؟ يسأل يقول: ما الأواه؟ وكذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ **[الحاقة: 36]**، قال ما الغسلين؟ حتى ابن عباس على أنه ترجمان القرآن وهو البحر الحبر فى التفسير وقف فى بعض الآيات، يقول: لم أعلم معنى قوله: ﴿ فَاطِرِ ﴾ **[فاطر: 1]**، حتى احتكم إليه أعرابيان، وقال: لم أعلم معنى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾ **[المائدة: 49]**، أو ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ﴾ **[الأعراف: 87]**، قال: لم أعرف هذه الكلمة حتى سمعت بنت **ذى يَزن** أحد ملوك العرب تقول: لزوجها: **تعالى أُفَاتِحُك**، يعنى: كلمة افتح: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ **[الأعراف: 89]**، وكذلك: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ ﴾ **[السجدة: 28-29]**، فكلمة الفتح ما معناها؟ هى: **الحكم** يفتح يعنى: يحكم فهذه كلمات قد تكون فيها غموض فهذه من الأشياء التى نقول مرجعها إلى أى شىء؟

مرجعها إلى: **التشابه اللفظى** قد يكون التشابه تشابهاً معنوياً وهى الأشياء التى لا يعرف حقائقها إلا الله سبحانه وتعالى ولا يعرف كونها إلا الله سبحانه وتعالى من الأمور الغيبية مثل: كيفيات صفات الله كيف يأتى يوم القيامة كيف ينزل كيف استوى، هذه الأشياء متشابهة من حيث المعنى لا يمكن إنسان أن يصل إلى هذه الكيفية، كذلك الأشياء التى تحصل يوم القيامة حقائق اليوم الآخر مثل: ما يكون فى عرصات يوم القيامة والميزان والحوض والصراط وكذلك عذاب أهل النار ونعيم أهل جنة هذه حقائق لا يمكن لإنسان أن يصل إليها مهماً كان فهذه تُسمى: **بالتشابه من حيث المعنى** فهذه أشياء غيبية، ولذلك هذا النوع الذى ذكره ابن عباس لما قال التفسير على أربعة أنحاء ذكر منها قال: **وتفسير لا يعلمه إلا الله**، حتى إن بعض المفسرين حمل الحروف المقطعة على هذا النوع أنها متشابهة من حيث المعنى، أيضا قد يكون التشابه مثل ما ذكرناه **تشابه من حيث اللفظ وتشابه من حيث المعنى، وقد يكون التشابه من حيث اللفظ والمعنى جميعاً** يعنى: يقع التشابه فى الآية من حيث لفظها ومعناها فهذا يعود إلى أنواع التشابه **من حيث الكمية:** كالعموم والخصوص نحو قوله تعالى فى القرآن الكريم

مثلاً: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ [التوبة: 5]، فهذا عام فى أى شىء؟: **عام فى الأزمان وعام فى الأمكنة وعام فى الأشخاص** فهذا عام **لابد أن يكون له خصوص** فإذا قرأت هذه الآية قد تكون متشابهة عند كثير من الناس **من حيث اللفظ والمعنى** فقوله: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾، إن قلت عمومه من حيث الزمان فقتلوا المشركين فى كل وقت فى كل زمان فهذا مخصوص بأى شىء؟ **بالأشهر الحرم** الأشهر الحرم زمان محرم القتال فيه إذن الآية تحتاج إلى تخصيص كذلك لو نظرت إلى المكان قلت فقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فى أى مكان؟: إلا أن يكون فى الأماكن المحرمة كالحرم ونحوه فإنه لا يجوز القتال فيه إلا إذا اعتدوا علينا كذلك فقتلوا المشركين من حيث الأشخاص هل نقتل كل مشرك؟ وإن كان معاهد وإن كان ذمياً وإن كان امرأةً وإن كان صبياً وإن كان شيخاً هرماً وإن كان أعمى؟ ما نقاتل كل شخص **وإنما نقاتل المشركين الذين يقاتلوننا** هذا يسميه العلماء من **حيث العموم** أو نقول التشابه من حيث العموم والخصوص، **قد يكون التشابه أحيانا من حيث الكيفية** هل هذا الحكم حكما محمولاً على الوجوب أو على الندب أو على أى شىء فهذا لا نستطيع الحكم عليه حتى ننظر فى نصوص أخرى وآيات أخرى

فقوله مثلاً على سبيل المثال: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمۡ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ﴾ [النساء: 3] هذا الأمر هل هو محمول على الوجوب ولا على الاستحباب ولا على الإباحة؟ يعنى: أن الأمر هنا أن الله يبيح لنا يقول: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمۡ ﴾، أو يحثنا على وجه الندب أو يأمرنا أمراً واجباً هذا ما نستطيع أن نحكم عليه إلا بنصوص أخرى تساعدنا عليه لأن هذا يعتبر من المتشابه من حيث الكيفية ولذلك أرجح ما قيل فيه أن أحكام التكاليف الخمسة تدور حول هذا الشيء فقد يكون النكاح واجباً وقد يكون مستحباً وقد يكون مباحاً وقد يكون مكروهاً وقد يكون النكاح واجباً وقد يكون محرما، فكلها تدور على هذا الشيء وإن كان الأكثر يحمله على الاستحباب وعلى الندب أو على الوجوب، **أحيانا التشابه من حيث الزمان** من حيث الزمان إذا نظرنا إلى الآيات من حيث الوقت والزمان يكون فيها غموض مثلاً ما يسمى بالناسخ والمنسوخ الآيات التى فى القرآن فيها ناسخ ومنسوخ إذا قرأت الآية قد يكون عندك فيها تشابه فإذا نظرت إلى آية أخرى وجمعت بينهما وجدت أن بينهما نسخاً، هذا النسخ **نسخ زمانى** وقت الزمان الوقت عند جاءت الآية نزلت ثم جاء زمن فجاءت الآية الأخرى فنسخت الآية الأولى فهذا ماذا نسميه تشابه من **حيث اللفظ والمعنى** لكن الذى يزيل التشابه هو معرفة الناسخ والمنسوخ

فهذا نسميه التشابه من **حيث اللفظ والمعنى وسببه الزمن**، يذكرون أيضاً من **أنواع التشابه ما يعود إلى المكان** مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ [البقرة: 189]، هذا يعود إلى المكان يعني: إذا قرأها الإنسان ما يعرف ما معناها: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ ﴾، ولكن: ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ فما معنى أن تأتى البيت من ظهره من الخلف ؟ أو تأتيه من الأمام؟ هذا ما يعرفها الإنسان ان لو يقرأ هذه الآية حتى يرجع إلى سبب النزول الذى يكون فيه التشابه والغموض، **من حيث المكان** الذى هو الباب والدخول ولكن إذا رجعنا إلى سبب النزول عرفنا ما العلة التى جعلت الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾، ما معنى هذا وما علاقته بالبر؟ نقول: أنهم كانوا فى الجاهلية إذا أدوا فريضة الحج أو العمرة فإذا رجع وقد أداها فإنه لا يدخل مع الباب الذى خرج منه اعتقاداً منه أنه أدى هذه الفريضة وأن الله قد غافر له ذنوبه فيأتى من الخلف لماذا؟ ليشعر نفسه أنه خلص تاب وأقلع من الذنب هذا اعتقاداً منهم، وجاء القرآن وأبطله قال ليس هذا من البر وليس هذا من العمل الصالح وليس هذا من الأمور التى يتقرب بها الإنسان

إلى الله سبحانه وتعالى، عندنا آية فى سورة آل عمران مثل ما مر معنا: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: 7]، هذه الآية أو هذه الجملة وقف عندها العلماء والمفسرون ما معنى التأويل هنا؟ :﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ثم قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾، هل الراسخون يعلمون التأويل؟ فنقول: **الواو عاطفة** ولا هذه جملة جديدة والواو استئنافية والراسخون يقولون: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾، فعندنا عدة إشكالات أولاً التأويل هنا: ما يعلم تأويله إلا الله هل التأويل هنا التفسير أو حقيقة الأمر؟ هذه مسألة المسألة الثانية الوقوف على قوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، هل يجب أن نقف عندها حتى نبنى على ذلك أن الذى لا يعلم تأويله إلا الله فقط أو يجوز أن لا نقف وأن نصل؟ فنقول: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾؟ فيكون الراسخون يعلمون؟ فتكون **الواو هنا عاطفة أو استنافية** عند الوقوف فعندنا عدة إشكالات فلذلك اختلف العلماء فى معنى التأويل هنا وفى الواو العاطفة وفى الوقوف على قوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فهذه عدة اشكالات فاختلف العلماء فذهب طائفة من أهل العلم منهم من الصحابة أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهم وكذلك عدد من التابعين أن الواو أن هنا **هذا الرأى يرى الوقوف**

أن الواو هنا استئنافية وأنه يجب أن تقف عند هذه الآية وتقول: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾، وأن التأويل هنا بمعنى: **حقيقة الأمر** لا يعلم حقائق الأشياء التى فى القرآن التى أخفاها الله **إلا الله سبحانه وتعالى** فهم يقفون عندها **هذا الرأى الأول الذى ذهب إليه أبى بن كعب وذهب إليه بن مسعود وذهب إليه بن عباس وغيرهم يرون أنك تقف عند قوله:** ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾، تقف عندها لأنهم يحملون التأويل هنا: **بمعنى حقيقة الأمر** وما يقول إليه وكنه الشىء فيقفون عندها **ثم يستأنفون بواو استئنافية جديدة**، فيقولون: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾، فهذا الرأى ذهب إليه أجلاء الصحابة ومفسر الصحابة والتابعين أو عدد من التابعين واستدلوا بأدلة الأدلة الأول من هذه الأدلة أنهم قالوا إن ابن عباس **رضى الله عنه** كان يقرأ: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾، وكذلك ابن سعود يقرأ ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾، **فهتان القراءتان وإن كانت قراءتين لا تتوافق مع المصحف** ويحملها العلماء على أنها: **قراءة شاذة**، إلا أنها تفسير كذلك استدلوا بحديث عائشة **رضى الله عنها** فى البخارى أن الرسول صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية قال هو الذى أنزل عليك الكتاب ثم قال: **صلى الله عليه وسلم (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَـمّ الله - أى: وسطهم الله -فاحذروهم)**

قال: الله فيهم: ﴿ قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ ﴾، يعنى: الرسول **صلى الله عليه وسلم** أوضح لنا أن الذين يتبعون ما تشابه منه يعنى: حذر منهم، دل على أنه ينبغى الوقوف عند قوله: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾، هناك طائفة على رأسهم مجاهد **رحمه الله** وهو من كبار التابعين وهو أبرز التلامذة من عباس وغيره ذهبوا إلى أى شىء ذهبوا إلى: **أن الواو عاطفة** وأنه يجوز الوقف يجوز أن تصل وأن تقف وفسروا التأويل على أنه: **تفسير** قال: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ ﴾ أى: لا يعلم تفسيره إلا الله والراسخون فى العلم يعلمون تأويله، ولذلك عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين فى العلم فيعلمون تأويله رجح هذا الرأى النووى فى شرحه لمسلم وقال إن الله لا يمكن أن يخاطب عباده بما لا يعلمون، كيف يقولوا ما يعلم تأويله إلا الله القرآن يعلم تأويله الله والعلماء والعلماء فهذا رأيان فى هذه الآية من حيث الوقوف على: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾، **ومن حيث معنى التأويل وما علم تأويله ومن حيث الواو هنا هل هى استئنافية أو عاطفة؟**

قولان ظاهران جداً يمكن الجمع بين هذين القولين كيف نجمع بينهما نقول:

۞ **من حمل التأويل هنا بمعنى: حقيقة الأمر وكنه الشىء فيقف ويستأنف الراسخون،**

۞ ومن حمل التأويل بمعنى: التفسير كما يحمله الطبرى مثلاً يقول والقول فى تأويل هذه الآية،

وكذلك النبى لما دعا لابن عباس قال الله علمه التأويل أى: التفسير فحملوا التأويل هنا على: **التفسير، فإن الوقف جائز، يجوز أن تقف أو تصل والواو عاطفة** فهذا يعود إلى تفسير التأويل فمن فسره بمعنى: **التفسير** يجوز الوقف والوصل، ومن فسرها بمعنى: **حقيقة الأمر** فإنه يقول نقف عند قوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾، عندنا مسألة مهمة هنا هذه مسألة هل أسماء الله الحسنى وصفاته هل هى من المتشابه أو من المحكم؟ عرفنا هذه المسألة مرة معنا أن أسماء الله وصفات الله عز وجل كلها من المحكم واضح الدلالة والله يخطبنا بما نعرف وبلساننا لما يقول: ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾ **[الرعد: 2]**، لما يقول: ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ **[البقرة: 210]**، لما يقول: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ ﴾ **[المائدة: 64]**، لما يقول: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ **[الرحمن: 27]**، كل هذه كلام واضح الدلالة عند العرب يعرفونه فنقول: أسماء الله وصفاته واضحة الدلالة، **لكن إذا أردت أن تصل إلى كيفيتها فهذا من المتشابه**، كيف استوى كيف يأتى كيف الوجه كيفيتها كيف اليد؟: فهذا من المتشابه الكيف من المتشابه، عندنا مسألة مثل ما ذكرنا هى أسماء الله وصفاته هذه واضحة جداً

يعنى لا نقول أن أسماء الله وصفاته متشابه ولا نقول أنه من المحكم، يحتاج إلى تفصيل: **فإن أردت المعنى والحقائق فهى من المحكم وإن أردت الكيفيات فهى من المتشابه**، والإشكال هنا هو ما وقع فيه المتأولون المتأخرون وخاصة أهل التفويض أو أهل التأويل هم الذين وقعوا فى هذا الإشكال جاءوا بعد عصر الصحابة يعنى: فى عصر الصحابة وعصر التابعين وتابع تابعيهم كالإمام مالك والإمام الشافعى وغيرهم كانوا يعرفون هذه الأشياء وليس هناك أى إشكال عندهم، ولذلك لما سئل الإمام مالك أجاب بوضوح قال: (**الاستواء معلوم والكيف مجهول**)، فزال الإشكال لكن جاء هناك من جاء بعدهم لما ظهرت الفرق ومنهم المعتزلة والباطنية والأشاعرة وغيرهم وقفوا من هذه الصفات مواقفاً ودخلوا فى هذه الأمور وهم ما يسمون **بالمتكلمين** وهم الذين دخلوا فى هذه الأشياء فحملوا صفات الله على المتشابه وقالوا يعنى: لا نعلم معناها وليس لها معنى هذا سمى التفويض يقول: لا نعلم الله أعلم لما تأتى تناقش عنده

ما معنى استوى؟ يقول لك استوى ما معنى قال الله أعلم فيفوض ولا يجيب لك، استوى معلوم فى لغة العرب: استقر صعد واستقر قال لك لا نعلم ومنهم من أول

هؤلاء المؤولة فلما يأتى عند قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ [الأعراف: 54]، يقول استوى بمعنى: استولى على ملكه، هل كان ملكه ليس تحته حتى يستولى عليه؟ ولم تقول العرب ولا فى لسان العرب استوى بمعنى استولى أبداً وهكذا وقفوا من هذا الموقف ولذلك متقدموهم يعطلون ثم يعطلونها ثم يؤولونها إلى معنى بعيد يعطلون الصفة، **(صفة المحبة)**عند صفة المحبة يقولون معنى يحب أن يثيب ومعنى يغضب أن يعاقب **فعطلوا صفة المحبة وأولوها بمعنى بعيد**، وأما المتأخرون منهم فهم أمام أمرين: إما يؤول أو يفوض ولذلك يقول صاحبهم صاحب جوهرة التوحيد يقول وكل

نص أوهم التشبيه أوله أو فوض ورم تنزيها

هذا هو طريقهم فى تأويل الصفات إما أن يصرفها عن لفظها إلى معنى بعيد أو يفوض يقول لا أدرى ما معناها لا يفسر معناها، يقول لا أعلم ما معناها فهذا موقفهم

❁ والصحيح:

كما ذكرنا أن السلف رحمهم الله عرفوا معانى الصفات وعرفوا دلالات الصفات وأما الكيفية فأحال الأمر إلى الله سبحانه وتعالى

❁ الحكمة من مرود المتشابه فى القرآن الكريم

لماذا يورد الله المتشابه فى القرآن الكريم لماذا لم يكن القرآن كله محكماً؟

واضح الدلالة ولا حاجة للمتشابه لماذا نقول؟ أجاب على هذا السؤال الذى طرحناه **(ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن)** يقول: إن القرآن نزل بألفاظ العرب معانيها ومذهبها فى الايجاز والاختصار والإطارة والتوحيد والإشارة وإغماض الكلام ووضوح الكلام يقول حتى لا يعرف هذه الأشياء إلا اللقن سريع الفهم وحتى يتميز الباحث المدقق الناظر الذى يحرك ذهنه ويشتغل ويعمل عن غير ذلك البليد العاجز الذى لا يريد أن يبحث ولا يريد أن يتأمل هذه الآيات القرآنية، ولذلك يقول: حتى يتفاضل الناس وتسقط بينهم ولو لم يكن هناك لسقطت المحنة وماتت الخواطر ومع الحاجة وتحريك الفكر والحيلة يتحرك الإنسان ومع الكفاية يكون عاجزاً ولذلك يقول: عيب الغنى أنه يورث البله، وفضيلة الفقر: أنه يبعث الحيلة ولذلك يقول: أكثم بن صيفى وهو أحد الفصحاء العرب يقول: ما يسرنى أنى مكفى كل أمر الدنيا والآخرة كل أمر الدنيا ما يسرنى أنى مكفى كل أمر الدنيا ولماذا؟

قال: أكره عادة العجز دائماً كل شىء أنى مكفى كل أمر الدنيا يعنى قيل له ولماذا؟

قال: أكره عادة العجز يعنى دائم كل شىءٍ أنت جالس يأتى

إليك بكل شيء يقول هذا لا أريده لا بد أن أتحرك وأقوم وأعمل وأشتغل ولذلك أبواب العلم كثيرة أبواب العلم كثيرة أبواب الفقه والأصول والتوحيد واللغة والبلاغة والنحو وغير ذلك حتى يتحرك الإنسان ويتميز هذا عن هذا وتظهر فضيلة العلم وفضيلة الناظر وفضيلة من يتأمل ومن يستخرج وتقع الأجور من الله سبحانه وتعالى للباحثين المتأملين والذين ينظرون فى النصوص يتأملون ويستخرجون هذه الأشياء ويتميز الباحث من غيره ويصبح الناس على درجات متفاوتة وهذا ما ذكره ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن، بعضهم فَصَّل تفصيل قال المتشابه على نوعين: **(ما يمكن معرفته، وما لا يمكن معرفته)**

وأما الذى يمكن معرفته قال: فيه حث العلماء على النظر والتأمل واستخراج الغوامض وبين معانيها وكشفها وظهور التفاضل العلماء على النظر والتأمل واستخراج الغوامض وبيان معانيها وكشفها وظهور التفاضل بين العلماء وبين الباحثين وحصول الأجر فى الأشياء التى ظاهرها التشابه والتى يمكن معرفته المتشابه منها وكشفه أما الأشياء التى لا يمكن معرفة المتشابه مثل: كيفية أسماء الله الحسنى أو مثل الحروف المقطعة على قولٍ أو مثل ما يجرى فى

عرصات يوم القيامة أو فى علوم الغيب، قال أن الله يبتلى يبتل العباد من يؤمن من يصدق من يخالف من ينكر تجد من ينكر عذاب القبر ونعيمة تجد من ينكر مثلا الصراط من ينكر عذاب القبر ونعيمة تجد من ينكر مثلا الصراط من ينكر الميزان فهذا يتميز، يبتل الله سبحانه وتعالى من يفوض من يزداد إيمانا من يزداد تصديقا إذا جاء مثل هذا الشيء إقامة الحج على الناس بهذا الكتاب الذى جعله الله سبحانه وتعالى حاويا لكل هذه الأشياء كذلك إقامة الحج على العرب البلغاء أن هذا القرآن وصل إلى هذه المرتبة وإلى هذا المكان يعنى: هذه المكانة وهذه المرتبة بحيث أن يكون القرآن حجة على العرب وحجة على أهل الإنسان بأنه حوى هذه الأشياء كلها لو كان واضح الدلالة وكذا ما حصلت به الحجة عموماً هذا ما استطعنا أن نتحدث عنه فى هذا اللقاء وهو خاتمة الحديث عن المحكم والمتشابه وعرفنا أن القرآن يعنى كله أن القرآن كله محكم وكذلك كله متشابه من حيث العموم وأن القرآن أيضا من حيث الخصوص شيء منه محكم وهو الكثير وشيء منه متشابه وهو القليل وأن التشابه على درجات حسب الناظر وحسب المتأمل فى القرآن وحسب العالم ومن دون العالم وأن هناك من التشابه ما لا يعلمه إلا الله كل هذا مر معنا وعرفنا آية آل عمران

﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾، وأن هذه الآية للعلماء فيها تفسير وبيان وإيضاح وأقوال فى تفسير التأويل والوقوف على قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾، ونوع الواو هناك كل هذا مر معنا وعرفنا الحكمة من إيراد المتشابه فى القرآن الكريم لماذا أورد الله آيات متشابهات هذه الحكمة ما ذكرنا فيه الكفاية وفيه البيان نسأل الله ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه جمعين[3]



[3] المحاضرة : https://youtu.be/W4xvLSkPd3o?si=GTM8Y4peNQeZBIWP


تم بحمد الله